قال إن تدخلها يصب الزيت فوق نار الحرب الملتهبة..

كاتب يكشف آفاق التدخل التركي في اليمن

"الأمناء" قسم التحليلات:

قال الكاتب والمحلل السياسي الجنوبي الدكتور عيدروس النقيب، حول الطموح التركي للتدخل في اليمن، والذي اعتبره يمثل جزءًا من المساعي التركية للتوسع في المنطقة العربية في إطار صراع المشاريع في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم.

وأضاف النقيب في مقالين مطولين: "يشير الباحثون إلى ثلاث مشاريع تتناوش في المنطقة العربية هي:

١. المشروع الفارسي: الذي يتصدى له حكم آيات الله في إيران، وقد عبّر عن نفسه في اختراقاته العديدة في المنطقة وتحدث أنصاره عن تمكنهم من الهيمنة على أربع عواصم عربية، وتلك حقيقة لا مراء فيها، وسيحاول روّاد هذا المشروع مواصلَته مهما تعاقبت عليهم العواصف والمعوقات.

٢. المشروع الصهيوني: الذي يرفع شعار دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وهذا لا يحتاج إلى المزيد من الشرح والإيضاح، فمفاعيله متصلة وإن هدأت مؤقتا لكنها تعمل بصمت وستنتقل إلى الضجيج في اللحظة المناسبة لرواد هذا المشروع.

٣. المشروع التركي: وهو حلم يراود أردوغان منذ صعوده إلى سدة الحكم منذ قرابة عقدين، ويتميز بأنه يعتمد على حركة عالمية تجد لها جيوبها في معظم البلدان العربية (إن لم يكن كلها) وهي حركة الإخوان المسلمين، التي تتخذ أسماءً مختلفة من بلد إلى آخر، وهذه المشاريع الثلاثة ليست بعيدة عن مشاريع إمبراطورية عالمية تتداخل وتتشابك مع أصحاب المشاريع الثلاثة، ولكل منها أدواته داخل هذه المشاريع أو بموازاتها وخارجها".

وتابع: "المشروع التركي يستمد خلفياته من بُعدين: البعد التاريخي، المتكئ على تركة الإمبراطورية العثمانية التي هيمنت على عشرات البلدان في القارات الثلاث على مدى ما يقارب خمسة قرون ومنها المنطقة العربية، والبعد الآيديولوجي القائم على فلسفة الإخوان المسلمين كحركة عالمية تسعى لاستعادة دولة الخلافة وإن برداء عصري وبعض الرتوش العلمانية التي ترفضها معظم فروع الحركة، لكن أردوغان لا يستطيع الفكاك منها في المرحلة الراهنة، حتى لا يستثير الشعب التركي ضده، لكنه يقضمها قضماً تدريجيا حتى إنهائها.. وكل ما يتعلق بهذه التفاصيل لا يعنينا كثيرا في هذه الوقفة لكن ما يعنيا هو إمكانية وجدوى وآفق التدخل التركي في الأزمة اليمنية وفي هذه النقطة لا بد من التوقف عند الجزئيات التالية:

• لم يقف النظام التركي موقفاً محدداً من الانقلاب على الشرعية في العام ٢٠١٤م، كما لم يتخذ أي موقف من الصراع العربي الإيراني في اليمن، وهو ما يعني أن تركيا لم تكن معنية لا بالتمدد الإيراني ولا بوجود أو عدم وجود حكومة شرعية في العاصمة صنعاء، ناهيك عن أي موقف من الصراع بين مشروع التحالف العربي والمشروع الإيراني في اليمن والمنطقة عموماً.

• وعندما أعلن التحالف العربي عاصفة الحزم التي أيدها تحالف أكثر من ١٢ دولة عربية وإسلامية لا يذكر اليمنيون أي موقف مميز لتركيا إذ بقيت نائيةً بنفسها وتصرفت على أن الأمر لا يعنيها، وشيئا فشيئا أظهرت موقفاً

■ المشروع التركي يستمد خلفياته من بعد تاريخي وأيديولوجي

معاديا لهذا التحالف برز من خلال المواجهات الإعلامية التي تتهجم على التحالف العربي من المواقع ووسائل الإعلام والقنوات الفضائية التركية أو التي تنشط في تركيا.

• إن سمعة تركيا في اليمن ليست على ما يرام، فلا تذكر تركيا والحكم التركي لليمن إلا ويتذكر الناس الرشوة والفساد، ونظام الرهائن وفرض الإتاوات وثقافة الحريم والأسر والسبي وعموما التخلف والنهب والهيمنة والطغيان، أما الذين يتحدثون عن المساجد والقصور والقلاع والطرقات والأسوار فتلك ليست منجزات للشعب اليمني بقدر ما بناها بُناتها لحاجة الحكم إليها ولحماية الولاة وجيوشهم وأنصارهم من غضب الشعب، وإن سمحوا للعامة بالصلاة في المساجد.

• كل التدخلات التركية في مناطق الربيع العربي أدت إلى خراب ودمار ولم تثمر أية نتيجة تذكر، ويتذكر الجميع أين كانت الثورة السورية، السلمية ثم المسلحة قبل التدخل التركي، وأين أوصلها أردوغان من خلال المتاجرة بها وتحويلها إلى أداة لعقد الصفقات مع إيران وروسيا والاكتفاء بمحاربة الأكراد والشعب الكردي في سوريا، ويمكن القياس على ذلك بالتدخلات في ليبيا ومصر والتي ما تزال تتبلور وتتجلى بوضوح يوما عن يوم ولا تثمر إلا تأجيجا للحروب وزعزعة للأوضاع.

• علاقة النظام التركي الملتبسة مع المنظمات والجماعات الإرهابية، حيث أن الأراضي التركية ظلت - وما تزال - معبَرا دائما لتلك الجماعات التي دخلت إلى سوريا ومنها إلى العراق ومارست إرهابها في تلك المناطق ومناطق أخرى دون أن نسمع عن عملية واحدة داخل الأراضي التركية تبنتها داعش أو القاعدة.

• أي تدخل تركي في اليمن لن يكون تكاملا مع تدخل دول التحالف العربي الداعم للشرعية، بل سيتصادم معه وقد يتكامل أو يتصالح مع المشروع الإيراني (كما جرى في سوريا) وهو ما يعني توسيع دائرة الصراعات في اليمن وليس الحد منها وتضييق نطاقاتها".

واستطرد النقيب في مقاله: "هذه المعطيات ومعطيات أخرى تبين أن الرهان على أي تدخل تركي في اليمن إنما يمثل رهانا على زيت جديد يصب فوق نار الحرب الملتهبة في اليمن والتي يسعى التحالف العربي والمجتمع الدولي إلى إيقافها بعد ما عانى اليمنيون ما عانوه بسبب الانقلاب السلالي، وفشل النخبة السياسية الموالية للشرعية في إحداث أي اختراق يساهم في هزيمة المشروع الحوثي الإيراني ويعيد اليمن إلى الصف الخليجي والعربي.. ويقيني أن الأشقاء في دول التحالف العربي يدركون من الحقائق ما هو أكثر من هذا وما تعنيه أي محاولة لتوريط لتركيا في الأزمة اليمنية، وما يمكن أن يمثله ذلك من توسيع لدائرة العنف والاضطراب وعدم الاستقرار في اليمن والمنطقة عموما".

مغازلة يمنية لتركيا

وقال النقيب في مقال آخر: "شهدت الأسابيع الأخيرة مجموعة من المشاهد اليمنية المعبرة عن مغازلة يمنية لتركيا الأردوغانية التي يحكمها أكبر حزب إخواني في العالم منذ ما يقترب من عقدين، فهذا وزير في الحكومة الشرعية يوقع اتفاقيات مع نظيره التركي دون علم الحكومة ورئيسها ولا رئيس الجمهورية، وهذا عضو في مجلس الشورى اليمني يصرح بأنه تم الجلوس مع مثقفين وأكاديميين أتراك وجرى الحديث معهم حول إمكانية التدخل التركي في اليمن، وذاك أحد أعضاء البعثة الدبلوماسية اليمنية في تركيا يتحدث في فعالية رسمية عن محاسن فترتي الاحتلال العثماني لليمن ويكاد أن يقنع المستمعين له بأن هذا الاحتلال قد جعل اليمن تتفوق على سنغافورا وسويسرا والصين الحالية بما حققته من نهضة نادرة (وكل شيءٍ جميل) لليمن، وفي إطار موجة الهجرة السياسية اليمنية هناك عشرات الوزراء والنواب وأعضاء مجلس الشورى اليمنيين اتخذوا إسطنبول وأنقرة مستقرا لهم".

وأضاف: "لا يمكن النظر إلى هذه المظاهر بمعزل عن بعضها، فهي تشكل حلقات متصلة في سلسلة طويلة قد تشمل ما لم يطفُ بعد على السطح.. لا تختلف تركيا عن الكثير من الدول التي تتمتع - أو يشعر قادتها بأنها تتمتع - بفائض في القوة يدفعها للبحث عن منافذ لتصريف هذا الفائض بما يساعدها على التوسع واستعادة ما غمرته كثبان التاريخ من مجدٍ عثماني كان ثم اندثر، وقد حاولت استغلال موجة (الربيع العربي) وحركت مفاعيل أجندتها في مصرَ وسوريا وليبيا ونجحت حيناً وأخفقت أحيانا أخرى".

وتابع: "ولما كانت اليمن واحدة من مناطق نفوذ أجداد أردوغان فلماذا لا يفكر هذا الزعيم الطموح لاستعادة ما خسره أجداده في هذا البلد؟ خصوصا وأن التصدعات التي يشهدها البنيان اليمني توفر له من التشققات ما يمكنه من تسريب رياحه إلى هذا البنيان دونما مشقة، أما إذا ما أضفنا إلى هذا وجود فرع لحركته العالمية قوي ومهيمن على القدر الأكبر من السلطة (حتى وإن كانت مهاجرة) فإن فرضية التدخل تغدو واردةً في ظل الخذلان الكبير الذي تعرض له التحالف العربي في شمال اليمن.. الذين يتوهمون - أو يوهمون الآخرين - بأن تركيا يمكن أن تكون خصماً للمشروع الإيراني ورافضا له في المنطقة العربية أو رديفا وفيًا للمشروع العربي الذي يمثله التحالف العربي الداعم للشرعية بقيادة الشقيقتين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، يخدعون الناس ويخدعون أنفسهم، فتركيا مثل إيران لكل منهما أجندتها التوسعية في المنطقة وكل منهما تبحث عن أذرع وفية ومأمونة تساعدها في تنفيذ هذه الأجندة، بعد ذلك تأتي شعارات "حفظ الأمن" و"بناء السلام" و"الحفاظ على الوحدة والاستقرار" و"مساندة المستضعفين" و"مواجهة الشيطان الأكبر" و"مقاومة الصهيونية" كلازمة ديكورية تتخفى وراءها تفاصيل تلك الأجندات التوسعية، وقد برهنت تجربة المأساة السورية أن تركيا وإيران وإن اختلفتا في الشعارات فلا يوجد ما يمنع من اتفاقهما طالما كان ثمن هذا الاتفاق هو دماء وأرواح السوريين، ويمكن لهذه التجربة أن تتكرر في أي مكان بما في ذلك اليمن".

واستطرد: "من المؤسف أن النخب السياسية اليمنية تعاني من إفلاس لم يعرفه كل التاريخ اليمني، بحيث صار تدخل الأشقاء وغير الأشقاء يمثل المخرج الوحيد لدى البعض لتحقيق ما يتطلع إليه من مشاريع بعضها لا يضع للمواطن والوطن نصيبا منها، والبعض يضعهما في آخر جدول اهتماماته، وهو ما يفتح الأبواب لجميع أصحاب الأجندات المشبوهة لدس أصابعهم في اليمن دونما معاناة أو مقاومة إلا في ما ندر".

واختتم مقاله بالقول: "لن يكون للتدخل التركي الإخواني نفعا يذكر إلا لصالح الذين يراهنون على أيديولوجية وسياسات حزب أردوغان، أما الشعب اليمني في الشمال والجنوب فقد تعلم أن تجربة الثورة السورية بما فيها من مرارات قد حولها أردوغان إلى وسيلة لعقد الصفقات العسكرية، وحتى حينما قال أن "حلب خطٌ أحمر" لم يصمد عند هذا القول سنةً كاملةً، حيث تخلى عن حلب والحلبيين وكل مناطق تفوق الثورة السورية مقابل صفقة الـ($٤٠٠) الشهيرة وذابت خطوط أردوغان الحمراء والصفراء والزرقاء ولم يبق إلا اللون الرمادي الذي غطى كل خارطة حلب وأهلها وحولها إلى حطام".